مساهمة المرأة التواتية في الثورة التحريرية الجزائرية

د. خديجة حالة

جامعة أدرار

الملخص:
إن مساهمة المرأة بإقليم توات في مقاومة الاستعمار الفرنسي كانت بشتى الطرق والوسائل التي أتاحتها لها الظروف، رغم البيئة الصحراوية ذات المناخ القاسي التي كانت تقيم فيها فلم تتوانى عن الانضمام إلى صفوف جيش التحرير الوطني؛ حيث عملت كممرضة تعالج المجاهدين، طباخة تحضر المؤنة لهم وترسل الرسائل، وسنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على دور هذه المرأة في الثورة التحريرية من خلال شهادات مجاهدين، وكيف استطاعت مقاومة أساليب المستعمر التعذيبية الجسدية والنفسية لتحافظ على لحمة ووحدة الثورة حتى الاستقلال.

الكلمات المفتاحية: المرأة التواتية؛ الثورة التحريرية؛ المسبلة؛ التعذيب؛ المحتشدات.

Abstract :
The contribution of the woman in the province of Touat in fighting and resisting the French colonialism was in various ways and means that could be provided by the cirumstances at that time, despite the hard desert environment in which she lived. The woman in Touat did not hesitate to join the ranks of the National Liberation Army; where she worked as a nurse treating the Mujahideen or to cook and prepare them food, also she was considered as a useful mean of communication by transmitting letters between the Mujahideen.
Therefore, in this work we will attempt to shed light on the role of the Touati woman in the liberation revolution throught the testimonies of the Mujahideen, and how she was able to resist both physical and psychological torture used by the colonizer to preserve the unity of the revolution until the independence.

Keywords: Torture ؛ checkpoints ؛ Touati woman؛ liberation revolution .

مقدمة

كرم الإسلام النساء بأن جعلهن شقائق الرجال، وأعطاهم أحقية مشاركتهم في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والحربية، إلا أنه أسقط عن النساء وجوب القتال بالفعل، فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخرجن في الغزوات مع الرجال يسقين الماء، ويجهزن الطعام، ويضمدن الجراح، ويحرضن على القتال، وقد ثبت في الصحيح أن بنت رسول الله صلى الله عليه فاطمة، كانت تحمل قرب الماء هي وأم سليم وغيرها إلى الجرحى في غزوة أُحُد يسقينهم ويغسلن جراحهم، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده[1].

فالمرأة الجزائرية اقتدت بالنساء المسلمات في حالة الحرب والجهاد وتولى عبد الحميد ابن باديس تقديم نماذج من كفاح المرأة من التاريخ الإسلامي ليعرفها بأدوارها التي يجب أن تقوم بها في كل الظروف الطارئة التي يمكن أن تقع فيها، فقدم المرأة المتعلمة التي تربي الأجيال والمرأة الممرضة التي تداوي جراح المجاهدين ، والمرأة التي تغسل وتطبخ وتحضر الأكل وغيرهن كثير.

فرغم غياب المرأة الجزائرية عن مسرح الأحداث خلال العهد العثماني عموماً، وانحسار دورها وتأثيرها في القرن 12 ه؛ إلا أن المرأة التواتية صنعت بعض الاستثناء ومما يدل على ذلك الإشارات العديدة في النوازل ؛ إذ توحي بسعي المرأة واشتغالها في وظائف وحرف متعددة منها الفلاحة والغزل والنسيج. ومن الحقوق التي اكتسبتها المرأة التواتية خلال تلك

الفترة وكانت مدعاة لحفظ بقية الحقوق، فسعت إلى ممارستها والمحافظة عليها، الحق في التظلم والتقاضي دون وجل، أو إذعان لسلطة الرجل المتنامية في المجتمعات البدوية المحافظة، إذ كان صوتها مسموعاً وحقها مصاناً[2].

والمرأة التواتية سجلت حضورها في الثورة الجزائرية مثل بقية النساء الجزائريات.

1- نضال المرأة بتوات قبل الاستعمار الفرنسي

جمعنا هذه الوقائع التاريخية في ظل غياب الوثائق المدونة عن طريق الرواية الشفوية التي هي أساس التاريخ الشفهي الذي لا يزال عديم الحضور في الأوساط العلمية والجامعية والثقافية، وإن كان له بعض الحضور الخجول في بعض الجامعات الجزائرية، وفي هذا المجال يقول "روبرت لوي" "Robert Lowie": «كيف يُمكن للمؤرِّخ أن يخدم نفسَه باعتقادِه أنَّه يحتاج فقط إلى أن يَستجْوِب السكَّان المحلِّيين؛ لكي يتعرَّف على تاريخِهم؟» أو قوله أيضًا: «إنَّني لا أستطيع أن أعلِّق أيَّة قيمة تاريخية على الروايات الشفهية، تحت أية ظروف»، ومع هذا فإنَّ تراث الشعوب لا يزال يحمل في طياته الشيء الكثير، مما يمكن معه تلمُّس حقائق، ومعلومات نفيسة لا نَجدها في التَّاريخ المدوَّن، ويجعلنا نحن الباحثين أمام واقع لا نقْبل معه أقوال روبرت لوي على علَّاتها، كما يمكن للمرء تذكَّر أقوال آخرين يُشيدون بأهميَّة التراث الشفهي، كقول فيدر "A. Feder": «إنَّ المأثورات يَجب أن تكون مقبولة؛ لأنَّها تستحق الثقة»[3].

كما أنَّ الذي يظنُّ أنَّ الروايات الشفهيَّة لا تصلح وثائق ومستندات لدراسة التاريخ، قد يتراجع عن رأيه إذا تذكَّر أغلب الوثائق المدوَّنة كانت في الأصْل روايات شفهية متناقِلة قبل أن تدون، وعلى هذا الأساس فإنَّ الوثائق الشفهيَّة لا تقلُّ أهمِّيَّة عن الوثائق المدوَّنة، ولا تتفوَّق الأخيرة على الأولى، إلاَّ بكوْنِها تخضع لطرُق متعدِّدة للتأكُّد منها، وخلوِّها من التَّزوير، ولكن ليس من الصَّعب أن نضعَ ضوابطَ مُماثِلة لإثبات صحَّة الوثائق الشَّفهية[4].

تميزت منطقة توات قبل دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر في القرن الثامن عشر الميلادي ببروز الإقطاعية في شمال منطقة توات والمتمثلة في بعض العائلات المغربية في عهد الدولة السعدية[5] من المغرب الأقصى التي كانت تستولي وتسيطر على منطقة أوقروت ومن ذلك الباشا الصفار عبد العزيز الغازي الذي تصادم مع المدعوة الحاجة مريم من قبيلة الحاج أولاد أمحمد بقصر أُوْفَران؛ حيث كانت مشهورة بالمهارة في الكسب، لكنها تصادمت مع هذا الباشا الذي حاول الحد من توسع نشاطها التجاري، والاستيلاء على أموالها فانتفضت صارخة في وجه الظلم ووقف إلى جانبها كل النساء مع الرجال، وكانت نتيجة ذلك إبادة شبه جماعية للأهالي وإعدام للآخرين وصل عدد الضحايا إلى 400 ضحية[6].

لم نجد أثر لهذه الحادثة في الوثائق المخطوطات إلى غاية الآن إلا تداولها على ألسنة بعض المهتمين بالتاريخ المحلي والوطني.

2- نضال المرأة بتوات بعد دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر

وبعد خول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر تعاظم دور المرأة ولعبت دوراً نضالياً أثناء الثورات والانتفاضات الشعبية ضده منذ 1830،

فاطمة نسومر واحد من البطلات التي ضربت بسهم صائب في مضمار الجهاد من أجل تحرير الوطن دون أن تلين أو تنحي هامتها ضد المعتدين[7].

وبعد دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر وتوسعه في مختلف المناطق الداخلية وانتهاجه سياسة التوسع المنظم، وعند تواجهه مع الشيخ بوعمامة، في سنة 1886م قَدَّم الشيخ بوعمامة ورقة طلب الأمان من فرنسا حينما اشتد عليه الخناق من مختلف الجبهات، إلا أن الفرنسيين رفضوا طلبه؛ لكنه بعث رسالة ثانية يطلب فيها الأمان وجاءه الرد بتاريخ 08 ديسمبر1899م في رسالة تقول السلطات العسكرية للعين الصفراء بأننا نقبل طلبك الأمان، إلا أن الشيخ بوعمامة استغل هذه الموافقة المبدئية سياسيا، كما أن الانتصارات العديدة التي أحرزها على العدو خلال سنوات الجهاد صنعت منه رمزا بطوليا جعل السلطات توافق مكرهة على طلبه، إلا أن الشيخ رفض قبولهم لطلبه الأمان ورمى به جانبا وتوغل في أعماق الصحراء ووصل إلى قصر دلدول[8]بتوات[9]، وما إن انتشر خبر وصوله إلى توات توافدت عليه القبائل وأهالي القصور من أولاد عروسة وأولاد إبراهيم وأدغا وتنقل وفد باسم منطقة تيمي[10]لمبايعته كأمير للمنطقة وحاول الشيخ بوعمامة بعث زاوية إصلاحية بقصر دلدول[11]، وحاول انجاز مجتمع يشبه مجتمع مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي آخى بين المهاجرين والأنصار، وسعى الشيخ بوعمامة في هذا المجتمع إلى صون كرامة المرأة والحفاظ عليها فاصدر فتاوى لتنظيم مجتمع مدني تكفلي وراقي لا تهان فيه كرامة أرملة الشهيد؛ بحيث أجاز زواج هذه الأرملة من المجاهدين الباقين على قيد الحياة.

وقد شاركت المرأة التواتية في كل المعارك ضد الاستعمار الفرنسي منها معركة: الفقيقرة، الدغامشة، معركة اينغر الأولى، ومعركة المطارفة التي حدثت ما بين 1899-1900م إذ في المعركة الأخيرة تجند وتسلح الشعب جميعه رجالاً ونساءً لصد الهجوم، وفك الحصار المضروب عليهم، من طرف الجيش الفرنسي، فحملوا مؤونة الأكل والشرب في القِرب وجميع ما يحتاجونه؛ فأما الرجال فقد تقدموا للحرب من وراء الجيش الفرنسي وأما النساء تقدمن بالماء والأكل من جهة أخرى والتي هي جهة أولاد راشد ليسقينهم ويتقذنهم من الجوع والعطش، ومن بين الزعيمات اللواتي والبطلات اللواتي كن مع الرجال الرجال في هذه الحرب: خيرة قلبي بنت سعيد وأختها الزهرة بنت سعيد، وأمباركة بنت سالم الكبير[12].

3- مساهمتها في نضال الحركة الوطنية

أما في عن دور أهل توات في الحركة الوطنية الجزائرية فتمثل في مؤازرة الحركة الوطنية بالحضور المكثف في المهرجانات الخاصة والعامة التي كانت تقام في المنطقة، التي كانت فرصة مواتية لوصول مختلف المجلات والجرائد ونقل آخر أخبار الحركة، ففي هذه المرحلة كانت ترد على توات بيانات الأحزاب التحررية من جمعية العلماء المسلمين وحركة أنصار الحريات الديمقراطية وبعدها الاتحاد الديمقراطي للبيان والحرية، فكانت الجرائد التي تصدرها هذه الأحزاب تصل تِبَاعاً إلى قياد عروش توات، أمَّا عن مساهمة المرأة في نضال

الحركة الوطنية فقد كانت خويرة بيت لمعلم زوجة القائد الرقاني مولاي لحسن الذي كان ضمن فرقة الرماية وحامل سرها والمشرف على المريدين فيها، تقرأ على القائد البيانات والجرائد التي كانت ترد عليه بصفة سرية من أحزاب الحركة الوطنية، وكان لا يستطيع أن يجمع كبار القبيلة وذلك خوفا من المراقبة اللصيقة التي كانت تفرضها فرنسا على الزاوية[13]، فربما تولت مهمة إيصال الأخبار إلى النساء الأخريات لتصل أزواجهن.

وألقي القبض على بعض المناضلين بتهمة التعاون مع أعضاء الحركة الوطنية وذلك بسبب إنشادهم لنشيد "من جبالنا" في وسط ساحة مدينة أدرار[14]، وهم قلوم الشيخ واحد أبناء أقوجيل واحد أبناء بن دارة وقادة مولاي واحد أبناء كابويا وتم الزج بهم في سجن المنطقة ثم ترحيلهم إلى سجن سركاجي[15].

ويعتبر المأثور الشعبي المادي والمعنوي أحد مقومات المجتمع الجزائري الذي يتميز بخصوصيات مرتبطة بانتماءاته التاريخية والدينية وبأصالته وبثقافته الوطنية التي تتعدد مشاربها، فقد برز مبدعون شعبيون عبروا عن الآم الجماعة وأمالها بواسطة الكلمة المنطوقة المعبرة عن الوجدان الشعبي فبكوا واحتجوا وسخطوا على الأوضاع المزرية التي كان الشعب يعيشها، فالشاعر الشعبي لا يكتفي بالتفرج، بل هو يعطي رأيه موجها ومنبها، رافضا حياة الذل والهوان، داعيا إلى التغيير بالثورة[16]، فهذه السيدة مريم جيني أم الشيخ قلوم تقول في سجن ابنها ورفقائه:

أَبْدَاي قولي بِلاَ إِلَهَ إلا الله
مُحمّد شافعْ اَمْتُه زِينْ الخاتمة
لاَ يَحْرَمْنَا مَنْ شْفَاعْتَه فَي الْقِيَامَة
هَذِي قَصَّة جْرَاتْ مَنْ الشَّرْقْ لْلْغَرْبْ
وَتَنَظَّمْ الإسلام وَبْاغَا اِلإِعَانة
وَالله يْعَاوَنهمْ عَلَى شِينْ الْحَالَة
الله يْعاوَنْهُمْ يْجَاهْدُوا الْكَفَّارْ
خَرْجُوا لِيهُمْ الزّعَمَا رَفْدُوا الإِهَانَة[17]

4- مشاركتها في الثورة التحريرية:

وعند اندلاع الثورة التحريرية شارك فيها مختلف شرائح المجتمع، وفي هذه الظروف احتلت المرأة الجزائرية مكانة هامة، حيث كانت المرأة الجزائرية عنصر مهم، حيث وقفت مع الرجال جنبا إلى جنب لتحرير هذا الوطن الذي دافعت من اجله حتى اللحظات الأخيرة، كما تحملت مسؤولية الكفاح في المدينة والأرياف، لكسر الحصار الذي كان يشكله المستعمر على أولادها، زوجها، عائلتها، بلدها، دينها وشرفها.

عملت المرأة الجزائرية كممرضة تعالج المجاهدين في الجبال، طباخة تحضر المئونة لهم، ترسل الرسائل وتشارك في المظاهرات والإضرابات، مجاهدة ترفع السلاح وتضع القنابل في أماكن وجود الفرنسيين، فمع الصعوبات التي كان يواجهها المجاهدين أمام الأعداء في مراقبة تحركاتهم، أدى الأمر إلى تغيير مهام المرأة وتحويل أدوارها الثانوية إلى أدوار أساسية التي كان المجاهدون بأمس الحاجة إليها رغم الصعاب التي واجهتها لكونها امرأة.

إن مشاركة المرأة في ميدان الكفاح المسلح جنبا إلى جنب مع الرجل، غَير المفاهيم الرجعية المتشددة حول خروجها إلى ميدان العمل الجهادي بمختلف أنواعه، فلقيت المرأة كامل

الرحيب من قبل جيش التحرير الوطني واضعاً فيها كامل الثقة لكي تتحمل الصعاب مع أخيها الرجل وتنفذ بصدق وإخلاص مبادئ الثورة، وكانت المرأة تُخَاطَبُ بالأخت أو المجاهدة أو المناضلة[18] وهو ما هز مشاعر الشعراء الجزائريين وأسال أقلامهم، وعلى رأسهم شاعر الثورة "مفدي زكريا" في قصيدته " نشيد بنت الجزائر" الذي نظمه بسجن بربروس؛ ومما قال فيه:

أنا بنت الجزائر أنا بنت العرب
يوم نادى المنادي ودعا للكفاح
قمت أحمي بلادي وتركت المزاح
وصدقت جهادي وغدوت الجناح[19]

كانت المرأة الجزائرية ولا زالت قلعة الصمود والمقاومة، عماد الأسرة وخزان الوطنية، حافظت على الانتماء الحضاري للأمة عقيدة وسلوكا، وبلَّغت ذلك الانتماء للأبناء والأحفاد عن طريق التربية بواسطة الأحاجي والأساطير الملحمية والقصص الشعبية عن بطولات الأجداد للإبقاء على جذوة المقاومة، وفي أحضانها نشأ وترعرع الأبطال من الشهداء والمجاهدين أبطال الحرية والمدافعون عن الكرامة والهوية.

كانت توات تابعة للمنطقة الثامنة من الولاية الخامسة التاريخية إلى غاية سنة 1957م، غير أن منطقة توات انتمت إلى المنطقة الثالثة من نفس الولاية منذ سنة 1957م، وقد استجاب أهل لتوات لنداء ثورة أول نوفمبر 1954م كغيرهم من الجزائريين رغم تأخر انطلاق شرارة الثورة بتوات الكبرى، والمرأة التواتية شاركت في الثورة التحريرية ضمن مشاركة المرأة الجزائرية عامة، لكن قبل أن نتطرق إلى نضال المرأة بتوات نعرج على نماذج لنساء من المنطقة كان لهم دور كبير في الانتفاض وإعلان التمرد والعصيان ضد الظلم الذي كان كثيرا ما يلحق بهنَّ.

فدخلت الميدان بنفسها فساهمت بكل طاقاتها في خدمة الثورة على مختلف مستوياتها وطبقاتها الاجتماعية، وتحملت الصعاب في كل مكان كمحاربة أو مسبلة أو سجينة معتقلة، أو ممرضة تسهر على راحة الجرحى والمصابين، فكانت تطهو الطعام للمجاهد يأكل في بيتها أو يحمل معه مؤونته على ظهره يقتات منها بين الحين والأخر من الأنواع الغير قابلة للتعفن مثل "المعكرة" أو "الطمينة" المصنوعة من دقيق القمح والسمن والتمر، وهي آكلة دسمة تحتوي على مقويات هامة وتستغل لوقت طويل جداً[20].

وارتبطت مشاركة المرأة التواتية في الثورة التحريرية بخصوصية المنطقة وبخصوصية المجتمع النسوي في حد ذاته، وفيما يتعلق بخصوصية المنطقة فقد كانت توات أرض مكشوفة منبسطة للغير عكس المناطق الأخرى التي كانت الغابات والجبال والهضاب والسهول مكان للتخفي بعد تنفيذ الهجمات على منشات ومقرات الاستعمار الفرنسي، أما عن خصوصية المجتمع النسوي التَّواتي فقد كان منغلق على نفسه يرفض الاحتكاك والاختلاط بالأجنبي عنه، وكانت المرأة مرتبطة بالعادات والتقاليد والدين، الذي كان يرفض قيامها بأعمال غير المنوطة بها، في حين نجد المرأة الجزائرية ناضلت بكل الطرق والوسائل مجاهدة، فدائية، ممرضة، مسبلة.

4-1 المرأة المسبلة:

هي مواطنة عادية غير متفرغة للقتال، نقوم بأعمالها اليومية وفي نفس الوقت تقوم بأعمال لصالح جيش التحرير الوطني، وكنظيراتها من الفدائيات هي الأخرى يشترط فيها أن تتحلى بصفات وأخلاق حميدة لأن تكون بين صفوف جيش التحرير مثل: النزاهة، العفة، الصبر والصرامة، وكل هذه الخصال كانت محببة لدى قادة الثورة[21]،ومن مختلف أعمالها إخفاء سلاح الفدائيين بعد انجاز عملياتهم ومرافقتهم إلى مكان أمين متحدية حراسة العدو، وتحمل العتاد والوثائق المتضمنة أسرار الثورة وتسلمها إلى المسؤولين المعنيين بها، وتقوم بشراء الأدوية واللوازم التي يحتاجها المجاهدون[22].

في البداية انضمت المرأة إلى الثورة بصفة تلقائية وذلك بحكم التحاق رب البيت بالنضال، ومن خلال المقابلات التي أجريناها توصلنا إلى أن المرأة بتوات شاركت كمسبلة فقط، وذلك نظرا لطبيعة المناطق الصحراوية ذات الطابع المكشوف وكذا الحالة المعيشية لسكان المنطقة، فانحصرت مساهمة المرأة في تقديم العون للمجاهدين، حيث كان التموين نشاطا استراتيجيا لوجيستيا خلال الثورة، فهو الركيزة التي اعتمدت عليها جبهة التحرير الوطني لمواصلة العمل العسكري؛ إذ لا يمكن أن يستمر العمل العسكري دون توفر اللباس والغذاء والسلاح والدواء، لذلك أُعطيت عناية كبيرة للتموين من قبل قادة الثورة وحاولوا جمع الأموال اللازمة له، لم تكن عملية التموين من بداية الثورة إلى غاية 1955م تخضع للتنظيم، فقد كان جيش التحرير يُمَوَّن من طرف الشعب إذْ كان يتم إطعام المجاهدين في الليل لدى سكان الأرياف، وتحملت المرأة الريفية العبء الكبير في هذا المجال[23].

فكانت المرأة تقوم بصناعة القرب وأحذية الصوف لتمنع رؤية أثار أقدام المجاهدين، ونسج الجلابيب وتقديم بعض المنتجات المحلية كالتمر واللبن[24]، وبعد أن أقام الفرنسيين محتشدات بحاسي صاكة[25]، وصل عدد المجاهدين إلى ما يزيد عن 2000 مجند، وهذا العدد كله يحتاج إلى أثاث نوم وأماكن للاختفاء ومؤنة للتغذية وغسيل، وخياطة ملابس وجلابيب، وكل هذا كان كانت توفره النساء[26]، وبعد أن ادخل الفرنسيين النظام الصحي الخاص بهم إلى توات كانت امرأة بلالية أول من تعلم منهم ثم بدأت تشرح لبقية النسوة طرق العلاج الفرنسية بالبيت، وهذه شهادة المجاهدة مولاي فاطنة التي تقول فيها:« أنها عملت في مراكز الثورة وكُنَّ يأخُذْنَ على عاتقهن مسؤولية مداواة الجرحى من المجاهدين الذين يأتون إليهم ومن بين الممرضات اللواتي عَمِلْنَ معها: خيرة بنت حماني وفاطنة بنت قدة وجمعة بنت مقيمي»[27].

كما كانت النساء يقمن بجمع الاشتراكات لجيش التحرير، ويقوم الرجال بشراء القمح والشعير من المتاجر التي يمونها الفرنسيين، وكانوا يطلبون من التجار وصل استلام من كل مشتري في إطار مراقبة السلع، فكان بعض التجار يتعاونون مع المجاهدين بكتب عدة وصولات استلام بأسماء أشخاص كثر وهو في حقيقة الأمر سلم لشخص واحد، وتقوم النسوة بالاجتماع في بيت واحد لطحنه باستعمال الرحى التقليدية باجتماع اثنتين عليها، بينما يقوم الفرنسيين بحملة تفتيش ومداهمة ويتم التحقيق

حول مصدر القمح ومصيره، فيجيبه الرجال أن النساء من عاداتهن عند اقتراب موعد زيارات أولياء الصالحين يجمعن الطحين للزيارة، وخلال مواعيد هذه الزيارات التي كانت على مر السنة تتنقل من قصر إلى آخر يقوم المجاهدين بتسلم المؤنة والاشتراكات التي جمعت[28].

وفي فترة اشتداد الحرب التحريرية ضد الفرنسيين قالت سيدة تدعى "كَبِيرة" بحرقة عن هذا الوطن وأبنائه:

رَانِّي مُوحُولَة مَانْطِيقْ نَصْبَرْ
وَعْلَى أَخْبَار هَذَا الْوَطَنْ يَبْطَا عْلِيَّا
وَمُحَا عَبْدَ الله وَالشِّيخْ عَجْلُوا بلْأَخبارْ[29]

2-4 المرأة تحت التعذيب:

بعد تعاظم مشاركة المرأة في الثورة التحريرية وتنوع أدوارها، أدى ذلك إلى تسليط الضوء عليها وتخصيص معتقلات خاصة لها وكان معتقل تفلفال النسوي أول سجن فريد من نوعه في تاريخ الثورة الجزائرية، أنشأته فرنسا لنساء مجاهدين الثوار الأوائل الذين فجروا الثورة في منطقة جنوب الأوراس لمنعهم من الاتصال بأزواجهن ولتهديد الثوار بنسائهم وأبنائهم،تأسس هذا المعتقل في شهر أوت 1955م من طرف الجيش الفرنسي ، وهو عبارة عن ساحة صغيرة مغلقة تحتوي على غرف وضعت فيها نساء المجاهدين مع أطفالهن[30].

وبعد تحقيق الثورة الجزائرية في مطلع عام 1960 انتصارات هامة على الصعيد الداخلي والخارجي، فقد التأم شمل القيادة عقب اجتماع العقداء العشرة ووحدات الإستراتيجية المستقبلية في الدورة الثالثة للمجلس الوطني للثورة، وقد وضعت قيادة الثورة نصب أعينها توسيع جبهة المواجهة مع العدو إلى أقاصي الصحراء وإقامة جبهتين، واحدة على الحدود الليبية الجزائرية والأخرى على الحدود المالية والنيجيرية الجزائرية، وذلك من أجل إشراك سكان المنطقة الجنوبية الصحراوية في الكفاح التحرري، والتأكيد على البعد الإفريقي للثورة الجزائرية ومواجهة مخطط فصل الصحراء الشرس، وفتح جبهة عسكرية جديدة لإلهاء قوات العدو، وإقامة شبكات ومنافذ جديدة للتموين والتسليح والاتصال بالداخل[31].

فبعد توسع المجال المكاني لهذه الجبهات سلط الجيش الفرنسي رقابته على الأهالي بحملات التفتيش المستمرة وحملات الاعتقال الاستجواب والاستنطاق وانتهاج سياسة التخويف والترهيب، واستخدم كل الوسائل للحصول على نتائج إيجابية خاصة فيما يحض الفارين بعد معركة حاسي صاكة، واللجوء للحرب النفسية، معتمداً على المناشير الدعائية، والتي تتضمن وصف إجرامي للمهارية، مع استعمال لفظ القِصاص الذي نص عليه الدين الإسلامي من أجل كسب عاطفة سكان الإقليم فخاطبت بهذه المناشير أهالي تيممون وتينركوك بعدم الاستماع لأكاذيب العصاة المتمردين وعليهم بسماع كلمة الحق وصوت الشرف النابع من الأمة الفرنسية التي تمنح الطمأنينة والسعادة لأبناء هذا الوطن.

فقامت باعتقال كل عائلات الثوار والمشتبهين بهم ووصل الأمر إلى الزج بأعراش بكاملها في هذا المعتقل وتروي "المير فاطمة" أحد المعتقلات بحاسي صاكة أن الاعتقال تم من طرف المظليين الفرنسيين وسيقوا قسراً إليه

وقرروا قتل من يحاول الفرار منه، واستعانوا بمترجمين لتسهيل التعامل مع السكان[32].

وتروي زوجة الشهيد قدور بليتيم السيدة عيشاوي الخادم: أن تعذيب الرجال كان بتعليقهم في جذوع النخل، وكان الناس فيه حفاة عراة في ظروف مزرية، أما أنماط التعذيب في المعتقل تختلف حيث كان يستجوب البعض باستعمال الأسلاك المكهربة إضافة إلى الأعمال الشاقة، وتضيف المجاهدة ليتيم الكاملة أنه تم تعذيبها وجرها من رجلها مراراً وتكراراً بعد اتهامها بتموين المجاهدين وكانت التعذيب يتم تحت إدارة النقيب صواييه[33].

ووصلت عقوبة تموين جيش التحرير بالفرنسيين إلى درجة نفي عائلات بأكملها بعد تخويف السكان ومن ذلك عائلة المجاهدة "النوي رحمة" أرملة الشهيد "رماني علي" رفيق الملازم "فرحات أحمد"، كانت العائلة تقيم في طلمين بقرية تعرابين أين كان يلتقي المجاهدين في بيت العائلة، بعد ذلك التحق زوجها بجبل مؤمن ببشار، عادت إلى بيت عائلتها وتم تسريب خبر للفرنسيين بأنها على علاقة مع المجاهدين والثوار، فتلقت العائلة ضغط كبير من طرف الاستعمار وتعرضت لعمليات تفتيش كبيرة وحرمانهم من المؤنة وقد سبب ذلك إزعاج لأهالي المنطقة فتجندوا للمطالبة برحيلهم، فتم نفيهم إلى منطقة امقيدن[34] والتي تأسست بها قرية بفضل المجاهدة رحمة وأختها مسعودة، وقد أصيبت برحلها مرتين على إثر متابعة الجيش الفرنسي لهم[35].

رغم التعذيب والاعتقال إلا أن ذلك لم يضعف عزيمة النساء ولا الرجال، فقد بلغ النساء في المعتقلات والمحتشدات درجة كبيرة من الوعي السياسي والثوري، حتى إن أخبار وتحركات الثوار كانت تتداولها ويتناقشون فيها[36].

الخاتمة

وفي الأخير نخلص إلى أن المرأة التواتية انتفضت وتمردت على الظلم التي تعرض له الوطن والمجتمع والدين بمختلف الأشكال والوسائل التي أتاحتها لها بيئتها الصحراوية، فأصبحت هذه المرأة التي جاهدت وكافحت وناضلت مثالا يحتذي به، وقدوة للأجيال القادمة.

كما أنَّ هذه المقابلات الشخصية التي كانت أساس هذا البحث توضح أبعادًا نفسية وإنسانية، لا يمكن الوصول إليها من خلال النص المكتوب، فالباحث في هذه الحالة يعيش الأحداث التاريخية التي يدرسها عبر المشاركين الذين سمعها منهم؛ لأنَّ له إمكانيَّة الحوار المباشر معهم، واستيضاحهم حول جوانب كثيرة عن الماضي، كما يستفيد الباحث بطريقةٍ مباشرة من الانطِباع العامِّ الَّذي تركته الأحْداث اللاحقة في نفس الفرد، الذي شارك في صنع الحدث، أو شهِده، أو سمِعه ممَّن شهده، وهذا بدوْرِه يسهم في ضبط الاستنتاجات العلمية التي يتوصَّل إليْها الباحث، ومع ذلك يبقى الكثير من تاريخ الثورة التحريرية الشفوي الغير مدون والذي يحتاج إلى عملية تسريع تسجيله حتى يكون متاحاً للباحثين والدارسين.

المراجع:

[1] محمد رشيد رضا: حقوق النساء في الإسلام، المكتب الإسلام، بيروت، 1984، ص12.

[2] أحمد بوسعيد:"الحياة الاجتماعية و الثقافية بإقليم تـوات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ ـ 18م"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التـاريخ الاجتمـاعي والثقافي المغاربي عبر العصـور، إشـراف: د. محمـد الصالح حوتية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمـد درايـة ، أدرار، 2012ـ 2013،ص97.

[3] عبد الله بن إبراهيم العسكر: أهميـة تـدوين التـاريخ الشفهي، مجلة الدرعية، العدد39ـ 40، 1430هـ/ 2009م، شبكة الألوكة، //www.alukah.net، يوم 29 سبتمبر2014.

[4] المرجع نفسه.

[5] بدأ السعديون في نشر دعوتهم عـن طريـق الفـرق الصوفية في جنوب المغرب. حـاربوا حكـام المغـرب الوطاسيين ثم قادوا حركة المقاومة ضد الوجود البرتغالي في البلاد، استولوا على مراكش سنة 1525م ثم أغـادير (أكادير) سنة 1441م بعد طرد البرتغاليين منها وأخيـرا دخلوا فاس سنة 1549م. قـام محمـد الشـيخ (1554م أو1549م-1557م) بالقضاء علـى الوطاسـيين سـنة 1554م، للتوسع ينظر: عبد الكريم كريم: المغرب فـي عهد الدولة السعدية دراسة تحليليـة لأهـم التطـورات السياسية ومختلـف المظـاهر الحضـارية، المغـرب، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، 2006.

[6] قلوم المكي: مقابلة شخصية، يوم 23 سـبتمبر2014، على الساعة 18: 45.

[7] أنيسة بركات درار: نضال المرأة الجزائريـة خـلال الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتـاب، الجزائـر، 1985، ص13.

[8] سكن الشيخ بوعمامة بتراب أولاد عبد الصمد بقصـر دلدول.

[9] جمعية مولاي سليمان بن علـي: الزوايـا الجزائريـة ودورها في مكافحة الاستعمار، أعمال النـدوة السـنوية السابعة تخليدا لإحياء مآثر الشـيخ، مطبعـة منضـور الوادي، 14ماي 2012م، ص152

[10] هذه المقاطعة هي قلب منطقة توات ومركز مقاطعـة أدرار، للتوسع ينظر:فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديـين، ديـوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص 142.

[11] قلوم المكي: المقابلة السابقة.

[12] أم هاني طواهرية: تطور الذهنية الاجتماعية بمنطقـة توات خلال القرنين الميلاديين التاسع عشر والعشـرين، المرأة التواتية أنموذجاً، مذكرة لنيل شهادة ماجستير فـي التاريخ، تخصص التاريخ المغـاربي عبـر العصـور، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة أحمد درايـة – أدرار، 2013-2014، ص82.

[13] جمعية مولاي سليمان بن علي: المرجع السـابق، ص 68.

[14] قرب مسجد عبد القادر الجيلالي اليوم.

[15] يكون هذا الحدث في الفترة الممتدة من تاريخ 1943م الى 1954م؛ لان "نشيد من جبالنا" تم إنشاده لأول مـرة من قبل القائد الكشاف حسن بالكيرد بعد أسـابيع مـن نزول الحلفاء في شمال إفريقيا في اجتمـاع بتـاريخ 20 ديسمبر 1942م حضره كل من الراحل فرحات عبـاس عن حزب النواب وعبد الله فيلالي عن حـزب الشـعب الجزائري والدكتور محمد الشريف سعدان عن النـواب والدكتور محمد الصالح بن جلول – عن النواب أيضا .

[16] عبد القادر خليفي: محطـات مـن تـاريخ الجزائـر المجاهدة 1830_1962، الجزائر: ديـوان المطبوعـات الجامعية، 2010، ص275.

[17] خديجة رمضاني، مقابلة معها في بيتهـا بتـاريخ 27 سبتمبر 2014م، على الساعة 6:35.

[18] دحمان خديجة : نضال المـرأة فـي إقليمـي تـوات الوسطى وقورارة 1956_1962م، مذكرة لنيل شـهادة ليسانس في التاريخ، إشراف: خلوفي بغداد، جامعة العقيد احمد دراية ، أدرار، 2007_2008، ص21.

[19] زكريا مفدي: اللهـب المقـدس، الجزائـر: الشـركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص 94.

[20] عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص351.

[21] جازية بكرادة: مساهمة المرأة الجزائرية في الثـورة التحريرية بالولاية الخامسة من خلال الشهادات الحيـة،

مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 11، جامعة الشهيد حمة لحضر، الوادي، ص254.

[22] أنيسة بركات درار: المرجع السابق، ص57.

[23] عالية نايري: المرأة الجزائرية ودورها في الثورة التحريرية 1954ـ 1962م، مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: غزالة بوغانم، الجامعة الإفريقية احمد درايـة، أدرار، 2011_2012، ص 79.

[24] خديجة دحمان: المرجع السابق، ص 39.

[25] أنشئ هذا المعتقل جنوب غرب منطقة تيميمون من أجل انتقام الجيش الفرنسي لمقتل جنوده، وللتحقيق في التمرد الحاصل في كتيبة المهاري ، وعلى هذا الأساس تم إنشاء هذا المعتقل حيث أعلنت أهواز حاسي صاكة منطقة محرمة، هذا المحتشد عبارة عن 275 خيمة محاطة بالأسلاك الشائكة مدعومة بحراسات وإنارة كهربائية. عبد الرحمان بعثمان: المعتقلات الفرنسية في منطقة توات معتقل حاسي صاكة (1958-1959) أنموذجاً، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص، ديسمبر 2012، ص152.

[26] قلوم المكي: المقابلة السابقة.

[27] عالية نايري: المرجع السابق، ص 76.

[28] ميلود بلعقون: مقابلة في شخصية في المنظمة الولائية للمجاهدين، يوم 21 سبتمبر 2014م، على الساعة11:25.

[29] خديجة رمضاني: المقابلة السابقة.

[30] جمعة بن زروال: معتقل تفلفال النسوي بالأوراس أثناء الثورة الجزائرية 1955-1962 من خلال الروايات الشفوية وشهادات المعتقلات، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد9، ص292.

[31] عبد الله مقلاتي، رموم محفوظ، الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي في الثورة الجزائرية، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص15.

[32] عبد الرحمان بعثمان، المرجع السابق، ص153.

[33] المرجع نفسه.

[34] حالياً منطقة في شمال تيميمون وهي المكان الوحيد بين الطريق الرابط بين المنيعة وتيميمون.

[35] قناة مريم بن ديبة من رمال الثورة إلى جبال التحرير يروي حياة المجاهدة رحمة النوي من 1958-1963 ، www.youtube.com، تم نشرة يوم 2016/7/3، تاريخ التصفح: 2019/5/17.

[36] عبد الرحمان بعثمان: المرجع السابق، ص154.